

الانتصار

لمنهج السلف الأخيار

كشفُ تلبيساتِ المخادعينَ وبيانُ زيفِ المدَّعينَ
في قضية اغتيالِ نادرِ العمراني ونسبتها للسلفيين

بقلم

أبي مصعب مجدي بن ميلود حفالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن الدعوة السلفية تتعرض في هذه الأيام لهجوم شرسي مأكري من أعداءٍ احترفوا التلفيق والكذب مهارةً، والتَّهْيِيجَ لِلْفِتَنِ دُرْبَةً، فلقد بلغوا في تلْكُم الدركات مَبْلَغاً مُدْهَشاً!

إنَّ المؤمنَ الصادقَ يحبسُه خوفُه من ربِّه وخشيتهُ له من أن تَفْلُتَ كلمةٌ يدفعُها الهوى وتوقدُها العداوةُ؛ فيحسبُ للقاءِ ربِّه حساباً.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

وإنَّه ليضعُ نُصبَ عينيه قولَ ربِّه عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].
وقولَ نبيه ﷺ «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنَّ مَا فِيهَا؛ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» [رواه مسلم، من حديث أبي هريرة-2988].

فكيف تجرُّ بعضُ القنواتِ الفضائيةِ على الافتراءِ والبغي؛ فترمي دعوةً طيبةً تسيرُ على طريقِ أسلافٍ طيبين على منهاجِ النبوةِ حذو القُدةِ بالقُدة؛ بأنها تقتلُ الشيوخَ وتزعُمُ أن لا فرقَ بينها وبين داعش!!

أفلا يستحي القوم!؟

ألم يقرأ هؤلاء قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: 105).

ألم يقرأوا قول ربهم جل في علاه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: 58).

فالدعوة السلفية تُعظم أمر الدماء المعصومة، وتُحذر من إراقتهَا، دون موجب شرعي، فإن كان ثمة موجب شرعي، فولي أمر المسلمين يُقيم الحدَّ أو من ينوب، لا أن ينطلق الأفراد يقتل بعضهم بعضاً، في فوضى تجلبُ على المسلمين فساداً وشروراً.

فذا حرّمهُ الإسلام وقرر أئمة السنة منعه في مُصنفاتهم، فقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل في أصول السنة في شأن قتال اللصوص والخوارج أنه لا يُجهزُ عليه إن صُرع أو كان جريحاً، وإن أخذه أسيراً فليس له أن يقتله ولا يُقيم عليه الحدَّ، ولكن يرفع أمره إلى من ولاه الله فيحكم فيه.

فكيف بمن يقتل امرءً مسلماً غيلةً؟! إن ذا الجرم عظيم، قال جل في علاه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 93).

وقال نبينا ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا» [رواه البخاري، من حديث ابن عمر -

[6862].

لقد علّمت الدنيا بأسرها أن الدعوة السلفية تواجه - بقوة - أفكار التكفير والتقتيل للمسلمين، والترويع لأفئدة مؤمنة، فكانت بأمر الله سداً منيعاً أمام دعاة الضلال من كتابٍ ومُفكرين أشعلوا ديار الإسلام رمياً بالتكفير، وقضوا بالردة على المسلمين، وأراقوا الدماء، وسوَّغوا الخطفَ

والاغتيالات، وحكموا على مجتمعات المسلمين بأنها مجتمعات جاهلية، ودفعوا بالشبيبة إلى الكُهوف والجُحور؛ في عزلة شُعورية تُجافي المساجد وتُعرض عن الجُمع والجماعات، وتَصُمُّ عن سماع الأذان.

فماذا فعل سيّد قطب وأشباهه بأولئك الشباب الذين ارتَمَوْا في حمأة التكفير، وأذاقوا الأمة الأمرين، فما بكت عليهم تلكم الأقلام وما كانوا مُهتدين.

فهلّا تأملت قول سيّد قطب: "لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جُور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله" [في ظلال القرآن: 2/1057].

وهلّا أمنت النظر في قوله: "لا أحد يملك أن يزعم أن هذا المجتمع المسلم قائمٌ موجودٌ" [في ظلال القرآن: 4/2122].

وإنّك لتندهش ويطول تعجُّبك إذا ما قرأت قوله: "وأخيراً يدخل في إطار المجتمع الجاهليّ تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مُسلمة! ... وإذا تعيّن هذا؛ فإنّ موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية كلّها يتحدّد في عبارة واحدة: أنّه يرفض الاعتراف بإسلاميّة هذه المجتمعات كلّها وشرعيّتها في اعتباره" [معالم في الطريق: 94-95].

فما عُذر ذاك الذي أرشد شباب الإسلام المتلهّف لمعرفة الهدى إلى قراءة كتب هذا الخارجي، وهي تنصّح بالتكفير وتنادي بإراقة دماء المسلمين المعصومة، وكيف سيلقى ربّه؟!؟

وإذا أردت أن تستبين حقيقة سيّد قطب وكيف عمّل على بثّ فكره، فتواصّى وأتباعه بصنع المتفجّرات وتدير الاغتيالات وجلب الأسلحة وإعداد المواجهات، فدونك الخبرُ بقلمه لا بأقلام أهل السنّة.

قال سيّد قطب في كتابه (لماذا أعدّوني): "...فقد أخذوا - يعني الإخوان - في محاولات لصنع بعض المتفجرات محليّاً، وأنّ التجارب نجحت وصُنعت بعض القنابل فعلاً، لكنها بحاجة إلى التحسين، والتجارب مستمرة!" ثم ذكر خطّتهم بعد، فقال: "فهذه الأعمال هي ردّ فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم - يعني الإخوان المسلمين - بإزالة رؤوس في مُقدّماتها: رئيس الجمهورية، ورئيس الوزارة، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس الحربيّ، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشلّ حركة مواصّلات القاهرة؛ لضمان عدم تتبّع بقية الإخوان فيها وفي خارجها؛ كمحطّة الكهرباء والكباري" [ص: 52-56].

فأين صدق وأمانة تلكم القنوات الفضائية التي تنسب كذباً إلى السلفيين إراقة الدماء، واغتيال الأبرياء، وتفجير الأحياء، لأجل دم امرئ مسلم أريق بغير حقّ، فتأجروا بدمه وانتهزوا حادث مصرعه، وليست النّائحة الشكلي كالمستأجرة.

فجريمة خطف الدكتور نادر ثمّ قتله حدث يتنافى مع معالم هذه الدّعوة السّلفية الطّيبة المنزهة عن الدّماء المحرّمة الصّافية من كدر فتن الصّراعات على الحكم، التي جعلت الأحزاب يتناحرون فيما بينهم، وقد يضيق عطن النزاع فيتطلّبون فتاوى القتل لخصومهم، إنّ الدّعوة السّلفيّة بمنأى عن كلّ هذه الصّراعات.

وإنّ الناظر بإنصافٍ يعلم أنّ الدعوة السّلفيّة لا تُقرّ باطلاً ولا تدفع عن مُسيءٍ إساءته، بل تحجز الظالم عن ظلمه وتلزّم العدل، قال الله عزّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ؕ اْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: 8].

وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [١٥١] [الأنعام: 152].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: 107].

وقال نبينا ﷺ: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قال رجلٌ: يا رسول الله: أنصُرْهُ إذا كَانَ مَظْلُومًا، أفرأيتَ إذا كَانَ ظَالِمًا كيفَ أنصُرْهُ؟، قال: «تَحْجُزْهُ أَوْ تَمْنَعْهُ عَن ظُلْمِهِ، فَإِنَّ ذَٰلِكَ نَصْرُهُ» [رواه البخاري، من حديث أنس - 6952].

لكنكم قومٌ بهتٌ تتخذون مما تتوهمونه طريقاً للنيل من دعوةٍ أفضت مضاجعكم، وأعلت صياحكم، وكشفت بحق عن خبايا مسالككم، فلا غرو أن تُتاجرُوا بالدماء، وتستدروا عواطف البُسطاء، وتُجمِعُوا أمركم وشركاءكم على اختلاقِ الكذب، بل الكذب لعله يشكو صنيعكم! فالأمر كما قال الحافظ علي بن حرب الموصلي: "كلُّ صاحبٍ هوى يكذب ولا يُبالي" [الكفاية للخطيب: 1/ 123].

فهذه مُصَنَّفَاتُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة وكُتِبَ أهلُ العلم تزخراً بدفع ما تفتريه السُّنُّ وقنوات، وتُبارِكُهُ أفرادٌ وجماعات؛ من أن الدعوة السلفية تُجيزُ الخطفَ وتحمّدُ الاغتيالات، بينما يتعامون عن كُتُبِ سيِّدِ قُطْبٍ وأتباعه، وإنَّها لتنضحُ بالتكفير وتقطرُ دماً!

ولا أدلّ على ذلك من شهادةِ القرّ ضاوي إذ قد وُصِّعَ القومُ في قُـمُـمٍ حين قال في كتابه [أولويات الحركة الإسلامية]: "في هذه المرحلة ظهرت كُتُبُ - الشهيد - سيِّدِ قُطْبِ التي تُـمـثـلُ المرحلة الأخيرة من تفكيره والتي تنضحُ بتكفير المجتمع!" [ص 110].

فماذا بقي من ماءِ المحيّا على صفحات وجوه هؤلاء إذ ينسبونَ منهجَ شيخهم سيِّدِ قُطْبِ إلى الدّعوة السّلفية، وقد تيقنوا مُحَارَبَتَهَا لهذا الفكرِ الغالي.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» [رواه البخاري، من حديث أبي مسعود-6120].

وصدق الشاعر إذ يقول:

وَدَعَ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا إِنَّ الْكَذُوبَ لِبِئْسَ خَلٌّ يُصْحَبُ

أَيُّهَا الْقَنَوَاتُ الْفَضَائِيَّةُ ..

أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الدَّعْوَةَ السَّلَفِيَّةَ هِيَ الْإِسْلَامُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَفَهِمَهُ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَمَنْ رَامَ الْقَدْحَ فِيهَا وَالْمُحَارَبَةَ لِأَصُولِهَا وَالتَّشْوِيَةَ لِمَعَالِمِهَا وَالطَّعْنَ فِي عُلَمَائِهَا فَإِنَّمَا يُحَارِبُ دِينَ اللَّهِ الَّذِي تَكْفُلُ بِحِفْظِهِ، وَتَوَعَّدَ مِنْ اعْتَدَى عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ، قَالَ جَلَّ فِي عِلَاهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:13].

وَقَالَ نَبِيُّنَا ﷺ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

فَلَسْتُمْ تَحَارِبُونَ حِزْبًا مِنَ الْأَحْزَابِ الْمُتَنَاحِرَةِ، أَوْ تُصَارِعُونَ فِكْرًا مِنْ نَتَاجِ أَفْكَارِ الْبَشَرِ حَتَّى تَعْمَلُوا عَلَى التَّنْفِيرِ عَنْهُ وَالْإِزْرَاءِ بِهِ، لَسْتُمْ تُقَاوِمُونَ مَنْ يَتَطَلَّبُ مَقَاعِدَ فِي الْبِرْلَمَانِ، أَوْ يَلْهَثُ وَرَاءَ سَرَابِ الْحُكْمِ، إِنَّكُمْ تُحَارِبُونَ دَعْوَةَ تَسِيرُ عَلَى مَنَهِجِ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَقْتَدِي بِالصَّحَابَةِ الْأَتْقِيَاءِ.

إنها دعوة تُعنى عنايةً فائقةً بتوحيد الله ونبذ الشرك بكلِّ صُورِهِ، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

وقال جلَّ في علاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 116].

لقد بذلَ طُلابُ العلمِ السَّلفيونَ جُهوداً عظيمةً في نشرِ التوحيدِ ومُنبَذَةِ الشركِ أَقْصَتْ مضاجِعَ أهلِ الباطلِ جميعاً، فكم قد صَلَحَ من عقائدِ المسلمينَ وأحوالهم، فَسَلِمَ أمرُ دينهم، وتَبَصَّرُوا قُبْحَ الشركِ وعَظِيمَ خَطَرِهِ، فلا عَجَبَ أَنْ يُقْبَلَ أهلُ الإسلامِ على دعوةٍ كانت سبباً في هدايتهم وانسراحِ صُدُورِهِمْ، إِنَّهُ صَفَاءُ الدِّعْوَةِ ونَقَاؤُهَا.

أجل، إِنَّا نَعْلَمُ يقيناً الباعثَ لهذهِ المعركةِ، فعلى الرَّغْمِ من الإمكانياتِ العاليةِ والمناصبِ النافذةِ؛ عجزتُم عن إقناعِ الناسِ أَنْكُمْ أَهْدَى سَبِيلاً وَأَقْوَمُ قِيلاً.

فهلا أخبرتُمونا عن طريقِ سَيْرِ دَعْوَتِكُمْ؟!

إِنَّ المسلمينَ لَمْ يَرَوْا مِنْكُمْ إِلَّا جُهوداً مُضْنِيَةً في الدعوةِ إلى الانتخاباتِ الوافدةِ علينا من بلادِ الكفرِ، ولم يَرَوْا إِلَّا زَيْفَ تَلْبِيسَاتِكُمْ بِأَنَّ "الديمقراطيةَ من الإسلامِ، ولا فرقَ بَيْنَهَا وبينِ شُورَى المسلمينَ"؟!.

لم يَعْرِفِ المسلمونَ عَنْكُمْ إِلَّا الْعَمَلَ لِنُصْرَةِ أَحْزَابِكُمْ، وَبَثَّ الْفُرْقَةَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، أَمَّا الصَّرَاعَاتُ السِّيَاسِيَّةُ فَأَنْتُمْ مَنْ يَحْمِلُ أَلْوَيْتَهَا وَيَقُومُ بِأَعْبَائِهَا.

وَإِذَا صَارَ حَدِيثُنَا عَنِ السُّنَّةِ الْمُحَضَّةِ، فَمَا أَسْعَدَ أَهْلَ السُّنَّةِ السَّالِفِينَ بِنُصْرَتِهَا، وَالذَّبَّ عَنْهَا، وَبَيَانَ أَحْوَالِ مُحَالِفِيهَا، وَمَنْ نَصَبَ الْعَدَاءَ لِأَهْلِهَا.

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يُبِيدُوا عِلْماً شَرِيفاً عَظِماً، فَاتَّخِذُوا مِنْ حَادِثَةِ مَقْتَلِ الدُّكْتُورِ نَادِرِ الْعِمْرَانِيِّ بِحَمْدِ اللَّهِ طَرِيقاً لِتَحْقِيقِ مَا يُؤْمَلُونَ.

إن علم الجرح والتعديل لن تطاله أمانى الواهمين، وأحلام المنظرين، فإنه قوام الإسلام و صمّام أمانه، ولولاه لخطبت الزنادقة على المنابر.

ولقد عَجِبْتُ جداً من قول معنوه: "إنَّ طريقة أهل السُّنَّة في التحذير من أهل البدع مآلها إلى الخطف والاغتيالات، ومن مقاصد الشريعة النظر إلى المآلات، ويُعدُّ مسلكهم غُلُوءاً!!"

إنَّ هذا يعترض على ما أوجبهُ الله ورسولُهُ، وأجمع أهل العلم على مشروعيَّتِهِ، وصاح السلف بتقريرِهِ، وأمضوا حياتهم في نصرته، ولا حِمى للإسلام إلاَّ به، فما أحوج هذا - وأمثاله - إلى دراسة مذهب السلف ومواقفهم دراسةً واعيةً، فلقد كانت مواقفهم مع أهل البدع والأهواء صارمةً، جدُّ صارمةً، وما ذكره هذا المعنوه يقطعُ بجهله بمقاصد علم الجرح والتعديل، ويكشفُ عن تعامله، فما ذا بعُشك فادرُجي.

قال أبو داود السَّجِسْتَانِي: "قلتُ لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل السُّنَّة مع رجلٍ من أهل البدعة أتركُ كلامه؟ قال: لا، أو تُعلمُهُ أنَّ الرجلَ الذي رأيته معه صاحبُ بدعةٍ، فإن ترك كلامه فكلَّمهُ، وإلا فألحقه به" [طبقات الحنابلة: 1/160].

ولما قدَّم سفيان الثوريُّ البصرةَ، جعلَ ينظرُ إلى أمرِ الرَّبيع - يعني ابنِ صُبَيْح - وقدرُهُ عند الناسِ، سأل: "أيُّ شيءٍ مذهبُهُ؟" قالوا: "ما مذهبُهُ إلاَّ السُّنَّة"، قال: "من بطائنتُهُ؟"، قالوا: "أهلُ القدر"، قال: "هو قدرِي" [الإبانة: 2/452].

قال الإمامُ البغويُّ رَحِمَهُ اللهُ: "وقد مَضَّتِ الصحابةُ والتابعونَ وأتباعُهُم وعُلماءُ السُّننِ على هذا جُمعين مُتَّفِقينَ على مُعاداةِ أهلِ البدعِ ومُهاجرتهم". [شرح السُّنة للبغوي: 1/227].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةٍ في كلامٍ عظيمٍ له حوْلَ أهلِ الأهواء: "...إذ تطهيرُ سبيلِ الله ودينِهِ ومنهاجِهِ وشرعِهِ ودفعُ بغيِ هؤلاءِ وعدوانِهِم على ذلكِ واجبٌ على الكفاية باتفاقِ المسلمين، ولولا

من يُقيّمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفساد الدين، وكان فساده أعظم من استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً" [مجموع الفتاوى: 28 / 232].

فعلم الجرح والتعديل علم عظيم، ضبط قوا عدّه وأحكم شرو طه أئمة كبار تحقّقوا بالعلم الصحيح في نقدهم للجَماعات والطوائف والأشخاص، واتّصفوا بالعدل في أحكامهم مع ما كانوا عليه من دين متين وورع تامّ، فسعد بهم أهل الإسلام وسرّ بجهادهم لأهل البدع كلّ من تعرّف مكر هؤلاء وتبيّن خطرهم.

فسبب أهل البدع لأئمة الحديث والأثر قديم، وصرعهم لأهل السنة منذ أن قيل لهم: سموا لنا رجالكم، فيؤخذ عن صاحب سنة، ويطرّح صاحب بدعة.

فكم تضيق صدورهم عند سماعهم لأثر محمد بن سيرين: "إنّ هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم" [مقدمة صحيح مسلم: 1 / 14]، وكم يطرّب به أهل السنة فيحفظونه أبناءهم.

ألم يرموا أهل السنة بالألقاب البشعة المنفرة؟

فهم القائلون عنهم: حشويّة ومجسّمة، وهم القائلون عنهم: مُشبهة ونوابت، وهم القائلون عنهم غثاء وزوامل للأخبار.

فلا عجب - اليوم - أن تجد من القوم ما هو أقبح وأبشع «فإنّه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرّ منه، حتّى تلقوا ربّكم» [رواه البخاري، من حديث أنس - 7068].

ففي زماننا رموا علماء السنة بأنهم عملاء وجواسيس، ونبرؤهم بالرجعية وأنهم مُحنطون ولا فقه عندهم، بل بالعلمنة يتصفون!

ونعقوا في قنواتهم بوصف أهل السنة السلفيين بأنهم وهابيون، نسبة إلى العلامة السلفي: محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمته الله.

وبوصفهم بأنهم ألبانيون، نسبة إلى العلامة السلفي المحدث: محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله.

وبوصفهم بأنهم جاميون، نسبة إلى العلامة السلفي: محمد بن علي الجامي رحمته الله.

واليوم يزداد بغيتهم مع العلامة المحدث الأستاذ الدكتور: ربيع بن هادي المدخلي - أيده الله - فيصفون في قنواتهم أهل السنة السلفيين بأنهم مداخلة!

فلتحقق أيها الموفق بأن كل من وقف من علماء السنة أمام أهوائهم وبدعهم و ضلالتهم بالعلم الصحيح من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ وكشف عن باطلهم بالحجج الواضحات والبراهين الساطعات؛ نسبوا أهل السنة إليه، ونفروا عنه. ولعل سؤالا يقفز إلى ذهنك المتوقد، لم يفعلون هذا؟

فجوابه: إنهم يطمعون أن يبلغوا بحربهم لعلماء المنهج السلفي أن تشوه الدعوة السلفية بأنها تؤول إلى الشيخ فلان، وما هؤلاء السلفيون إلا متعصبه مقلدة لشيئوهم، حيثما وجهوا توجهوا وانقادوا وأذعنوا!!

فما أفجر خصومة هؤلاء، وما أخط أخلاقهم، وإنهم لكاذبون.

إذ علماء السنة أهل اتباع صادق، يعظمون كتاب ربهم وسنة نبيهم، فلا يحتجون إلا بما جاء عن الله عز وجل، وبما صح عن نبيه ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3]، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

ويذمون التقليد المقيت والتعصب الذميمة، كما قد ذمّه ربنا جل وعلا في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: 104]، ويُربون طلابهم على تعظيم الحق والانقياد له، كما قال مالك بن أنس - إمام دار الهجرة - : "كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ، وَيُتْرَكُ، إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ" [السير: 8 / 93]، وأشار إلى قبر نبينا ﷺ.

فمتى ألزم الشيخ ربيع المدخلي - أو غيره من أشياخ السنة - أحداً بقوله وأوقفه عند رأيه، فإن المتبع لكتب الشيخ ورؤوده ومحاضراته يقنع بعظيم عنايته بالحجج والبراهين، وأمانته في النقل عمّن رام أن يردّ عليه من كتبه ومحاضراته.

فإذا ما أنصف المرء وتجرّد للحق فإنه يصدع به وينقاد له، ويُسلم لمكنة الشيخ العلمية وعمق بصيرته.

إنّ الشيخ لمن أعظم العلماء تنفيراً عن التقليد وبغضاً للتعصب، لكنّ فرى القوم الواهية لا حدود لها.

فالمعظم للحق المتجرّد له لا يتردّد في قبوله ممن جاء به، لكنّ صاحب الهوى يُعمى عنه ولا ينفذ إلى قلبه، فلا يجد حيلة في دفعه إلا أن يُشهر داءه ويُظهر علته بقوله: "إنني لا أُلد"، في هوسٍ يخلط فيه بين اتباع الدليل والتقليد العاري عن الحجة.

إنني أدعوك أيها المحب أن تطلع على ثناء أساطين العلم وأئمة الفتوى في هذا الزمان على الشيخ العلامة: ربيع بن هادي المدخلي - سلّمه الله -؛ كإمام أهل السنة في وقته: عبد العزيز بن باز، ومحدث العصر: محمد ناصر الدين الألباني، وكفقيه الأمة: محمد بن صالح العثيمين، وكالنجم

اليَمَانِيّ المَحَدِّث: مُقْبِل بن هادي الوادعيّ، لتَعْلَمَ رُتْبَتُهُ في العِلْمِ ومنزِلَتُهُ في الفضلِ، ولتُعَرِّفَ كم أوْغَلَ القَوْمُ في عِرْضِ هذا العِلْمِ، فما اهْتَزَّتْ له قَنَاءٌ، ولا سَقَطَتْ له رَايَةٌ.

فَلَعَلَّكَ أدْرَكْتَ - الْآنَ - لم يُحَارِبِ الألبانيُّ وابنُ بازٍ وابنُ عثيمينَ وربيعُ المدخليُّ وغيرهم من أئمة السُّنَّةِ، كما قد حُورِبَ أَسلافُهُم من الأئمةِ، ولقد ذُكِرَ في ترجمة أحمد بن حنبلٍ أَنَّهُ إذا ذَكَرَ أَهْلُ السُّنَّةِ ما له من الفضائلِ العظيمةِ أَخْرَجَ الحَسَدَ أَقْوَامًا إِلَى أَنْ قَالُوا عن الإمام أحمد: "إِنَّهُ نَبِيُّهُمْ". [سير أعلام النبلاء 11 / 305].

والْيَوْمَ يَفْتَرُونَ الكَذِبَ عن العلامةِ ربيعٍ بأنه معصومٌ في المنهجِ، فما أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ وَارِثٌ!

فيا أَهْلَ السُّنَّةِ الثَّبَاتِ الثَّبَاتَ، فالْقَوْمُ ضَاقُوا بِكُمْ وِبدَعَوَتِكُمْ ذُرْعًا، وَأَفْلَسُوا من الحُجَجِ وَتَيَقَّنُوا مَقْتِ النَّاسِ لَهُمْ، بل صَارَ بَعْضُهُمْ يَتَوَارَى مِمَّا عُرِفَ بِهِ من الحزبيةِ المقيتَةِ. فما تَرَاهِ الْيَوْمَ صَرَخٌ جَاوَزَ الأَلَمَ.

فلا يُزْعِجَنَّكَ ضَجِيجُ قَنَوَاتِهِمْ، فالدَّعْوَةُ السَّلَفِيَّةُ لم تُبَقِ لَهُمْ قَنَاعًا يَتَسَرَّوْنَ بِهِ. لقد تَهَاوَتْ كُلُّ مَخْطَطَاتِهِمْ لِلنَّيْلِ من هذه الدَّعْوَةِ الطَّيِّبَةِ، حتَّى جَاءَ خَبْرُ مَقْتَلِ نَادِرٍ رَحِمَهُ اللهُ كَالْغَنِيْمَةِ البَارِدَةِ، فَأَظْهَرُوا الحُزْنَ والأَسَى، وإِنَّهُمْ بما تَاجَرُوا بِهِ من دَمِهِ لَفَرِحُوا!

فتدبر - أخي - قول الله عز وجل: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].
فَعِنْدَهَا سَتَعْلَمُ أَنَّ كَيْدَهُمْ سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَمَّا قَلِيلٍ تَقْشَعُ.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

كتبه / أبو مُصْعَبٍ مَجْدِي بن مِلُود حَفَّالَة

ليلة السبت 02 ربيع الأول 1438 هـ الموافق 2016/12/03

طرابلس - ليبيا